حالات ضغط الدم

هل تزداد وفقاً لارتقاء الحضارة ؟

ما فتئ موضوع تأثير الحضارة في المرض موضوعاً يغري بالبحث والتخيل . فالطبيب المتوفر على بحث مرض خاص يحاول أن يتبين في تأثير الحضارة في الجسم من حيث الصحة والمرض ، تفسيراً لمسألة غامضة في الموضوع الذي توفر عليه . وليس بالنادر أن نقرأ في كتابات الصحافيين أو مؤلفات المؤرخين تعليل هبوط أمة من الى المرتبة الثانية أو الثالثة بين الأمم ، بتأثير ترف الحضارة في إضعاف فضائلها البدنية ، ثم اشارة بالعودة الى أحضان الطبيعة. ويرى فريق من الباحثين أن التمرين الرياضي والارتفاع به الى مستوى معين ، كافٍ لانشاء أمة سليمة من الضعف البدني ، ويذهب آخر الى ان الطعام هو أهم البواعث على معظم ما نصاب به من أدواء . والقائل بالمذهب الأخير ، لا يجد مشقة ما في سوق بعض الحقائق المعروفة لتأييد رأيه الخاص والحملة على رأي غيره وتسفيهه لأن فهم مسائل الطعام على الوجه العلمي الدقيق لا يزال في مهده

وجميع هذه الآراء والاقوال تنبع من نظرة عامة مؤداها أن للحضارة تأثيراً عاماً في الجنس البشري يضعف الجسم ويعرضه لأمراض شتى لا تعرف في حال البداوة

على أن الدكتور دونيسون Donnison عضو كلية الأطباء ومؤلف كتاب « الحضارة والمرض » يذهب في كتابه هذا الى ان القول بأن القبائل البدائية تعيش متمتعة بالصحة التامة غير معرضة للمرض ، ليس الا وهماً لا تؤيده الحقائق . فأبناء هذه القبائل معرضون للاصابة بأمراض استفحلت شأنها أو كادت في البلدان المتحضرة . ولو كانت الموازنة الدقيقة بين الصحة في حال البداوة والصحة في حال الحضارة متاحة ، لكان الحكم في رأي هذا الطبيب على البداوة للحضارة

وهناك أربعة أمراض ، لا صلة بينها ، ولكنها توصف عادة بأنها من الامراض التي تلازم الحضارة . وهي ضغط الدم العالي ، والبول السكري ، والجحوظ ، والقرح الهضمية المستديرة في المعدة . والاحصاءات الطبية في جميع البلدان المتحضرة تشير الى زيادة الاصابات

بهذه الأمراض . وهي تصيب بوجه عام المشتغل بعقله أكثر مما تصيب المشتغل بيديه . وتعد الوراثة عاملاً كبير الشأن فيها ولكن مدى تأثيرها محدود على ما يلوح . وأخيراً هناك ميل جلي الى اصابة المريض الواحد بالأمراض الأربعة معاً . فهل الإصابة بضغط الدم أكثر في المدن منها في القفار والبوادي والقبائل التي لا تزال على الفطرة

يقول الدكتور دوبيسون إنهُ أجرى بحثاً في انتشار الاصابة بارتفاع ضغط الدم بين القبائل الافريقية التي تعيش في مناطق خاصة بها . فتحص الف ذكر تبدو عليهم جميعاً امارات الصحة والعافية . وكانت اعمارهم تتفاوت من خمس عشرة سنة الى سبعين سنة أو ثمانين . ولما كانوا لا يعرفون اعمارهم معرفة دقيقة فقد اعتمد الباحث في تعيينها على التقدير

وقد أسفر هذا البحث عن النتيجة التالية : ان معدّل اصابة الافريقيين الذين في الاربعين أو دونها بارتفاع ضغط الدم ، تقابل أو تماثل معدّل اصابة البيض به . ولكن المعدّل يهبط في الافريقيين بعد السنة الاربعين من العمر ، بينما هو يرتفع في البيض الى العقد الثامن من العمر

ويقال ان ارتفاع ضغط الدم نادر بين الاسكيمو ، ولكنهُ كثير في اليابان . ويدل الاحصاء على ان اصابة الافريقيين من متوطني اميركا بارتفاع ضغط الدم غير يسيرة ، ولكن ضغط دمهم السوي أرفع من ضغط دم البيض ويزداد بازدياد العمر

ويلوح ان ارتفاع ضغط الدم نادر في السلالات البدائية . وان اصاباته تزداد وفقاً لزيادة انشاء المدن وانتشار التعليم وأنها مألوفة في الافريقيين المتوطنين اميركا . اما انتشارها بين شعوب اميركا واوربا فلا يحتاج الى برهان

والواقع ان مرض « ارتفاع الضغط » يصيب المرء في النصف الثاني من الحياة عادةً . فهو نادر في الذين عمرهم دون الثلاثين وقليل بين الذين دون الاربعين . وقد عزاه فريق من الباحثين الى الوراثة ويدلُّ عدد الاصابات في أسر معينة على ان معدّل الاصابة فيها يبلغ ستين في المائة . والمرجّح ان ما يورَّث ليس إلاّ الاحوال التي تهيئ الجسم للعوامل المحدثة ضغط الدم . ويبدو ان هناك صلة ما بين ارتفاع وزن المرء (السمنة) وارتفاع ضغط دمه . واذا كان للطعام تأثير ما فيه فهو تأثير طارئ والمرجّح انه ينشأ عن النهم . والغالب انهُ يصيب الناس الذين يميلون في معاظم الى القعود دون الحركة ، والمشتغل بعقله أكثر من المشتغل بيديه . وربات البيوت من ذوات النشاط الجم والمعرضات للهمّ والغمّ يصبن به كثيراً

وهناك عاملان يؤثران في رفع ضغط الدم : السموم التي في تيار الدم تعمل فعل حوافز قوية . والانفعال الذي يجعل الجهاز العصبي المعروف بالوعائي الحركي مرهف الاحساس دقيق التأثر لما يعرض لهُ من حالات

فضغط الدم يرتفع بتأثير الانفعال واسلوبه الفسيولوجي افراز الادرينالين في الدم فيفضي الى انقباض الاوعية فيرتفع ضغط الدم ويزداد السكر فيه ، فيزداد مقدار الدم في الخلايا ويمتنع الافراز في القناة الهضمية او ينقص . وهذا على الاكثر ردّه الى انفعال قوي كالخوف وغرضهُ الفسيولوجي تهيئة الحيوان لعمل بدنيّ دفاعيّ عنيف كالفرار من وحش او الهجوم على خصم

والفرق بين البدائي والمتحضر في الحالين أنّ البدائي قلما يصاب بمرض ارتفاع الضغط لان كلّ انفعال من هذا القبيل يعقبهُ نشاط جسمانيّ فتتمدد الجدران المنقبضة في الاوعية الدموية التي تمدّ العضلات بالدم وهو الذي يجهزها بالمواد اللازمة للنشاط فيكون النشاط الجسماني في منزلة «صمام» ينصرف فيه الضغط ، فيهبط مستواه . اما في المتحضر ، فأحوال الاجتماع وآدابه تعرض عليه ان يكظم غيظه ويخفي خوفه ، فلا تنشط العضلات فيه لنشاطها في البدائي فكان «الصمام» يبقى مقفلاً فلا ينصرف الضغط ويبقى عالياً مدة ما . وهذه الحالة سرّ مصيبة الانسان المتحضر . فطبيعة المشكلات التي يتعرض لها المرء كل يوم تختلف عن المشكلات التي يتعرض لها البدائي ولكن النظام الفسيولوجي الذي ركّبتهُ الطبيعة في الجسم لمواجهة مشكلات الحياة البدائية لم يتغير . فصاحب المصرف الذي يفقد ثروته لا يجوز لهُ ان يطلق العنان لانفعاله بصفع احد موظفيه ، ولكن خوفه من الافلاس ، انما هو من نوع الخوف الذي يساور الانسان البدائي . وهذا كان يقاتل أو يفرّ متأثراً بهذا التغيير الحادث في جسمه ، وسواء أقاتل أم فرّ فان اسراع نبضه والتبدل في تركيب دمه وزيادة السكر فيه وغير ذلك ، تحولات من شأنها ان تعزز قدرته على القتال او الفرار . ولكن جميع هذه التغيرات الجوهرية ، لا تجدي صاحب المصرف في مدينة حديثة شيئاً ، عند ما يفقد ثروتهُ ويتراءى لهُ شبح الفاقة والسقوط الاجتماعي . انها تعدّه لعمل لا يتم وتحشد انسجة جسمه بمواد لا يستعملها وتتركه وفي دمه مفرزات تؤثر في جدران أوعيته وألياف عضلاته فتحرفها عن فعلها السوي وتعدها لعمل خاص لا يستطيع عمله ، فيفضي ذلك الى انفعال في نفسه يكبته وفقاً لتقاليد المجتمع ، ولكن كبته لا يعني ان الانفعال قد زال أو انهُ لا يضرّ

وأقل آثاره هذا الارتفاع في ضغط الدم وقد يفضي الى حالات مرضية اخرى

ويميل المشتغلون بعلوم الطب والنفس الى القول بأن المصابين بارتفاع ضغط الدم طراز خاص من الناس ، تغلب عليهم حالات عصبية تنحو بهم الى ارهاف الاحساس وشدة التأثر بصغائر الامور وطبع ينفجر كالبركان وسرعة تورد الوجنتين والاكباب على العمل والرغبة في سرعة الانجاز والميل الى سرعة الاكل